الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسة الاجتماعية

أ.أحمد بن أحمد
قسم علم الاجتماع
كلية الآداب
والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد
-تلمسان-

الملخص

تشمل هذه الدراسة على محاولة تحديد مفهوم طقس الوعدة و علاقته بالممارسة الشعبية كاحتفال طقسي مكرس لتكريم الأولياء. ويكتسي أهمية بالغة في التراث الشعبي الجزائري مما جعله يشكل نوعا من التوافق بين الطقوس الدينية و البدعية في نظر العامة. و قد تجاذبه قطبان متناقضان: ضوابط الدين الرسمي التي اعتبرته نوعا من الشرك و الوثنية و الممارسة الشعبية التي اعتقدته غير منتهك للمعتقد الديني.

و قد صاحب الطابع الوثني مختلف الإحتفالات الدينية للأجيال المتعاقبة بأشكال مختلفة، و ظهر من جديد من خلال عبادة الأولياء و تقديم القرابين و اعتبارهم وسطاء مع الله من طرف التدين الشعبي.

و رغم وجود هذه الخاصية، فإن العلاقة بين الدين الرسمي و طقس الوعدة ظلت وثيقة بفضل الدور الذي قام به هذا لأخير لصيانة و حماية مقومات الشخصية الوطنية و تدعيم المؤسسات الدينية و نشر الثقافة المحلية المتميزة عن ثقافة الاستعمار الفرنسي.

يعتبر الدين من أقوى النظم الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ الخليقة. و هو موجود كظاهرة اجتماعية صاحبت الإنسان في جميع أطواره الثقافية عبر التاريخ، و له علاقة تأثير و تأثر بمعظم النظم السائدة لعلاقته بالإنسان و ارتباطه بصميم الواقع الاجتماعي. فهو ينتج عادات و قيما و تقاليد في المجتمع لا يجد الفرد بدا من اتباعها طوعا أو كرها[1] و كل دين توحيدي أو إحيائي يفرز طقوسه الخاصة به و يستخدمها في نمط ثابت تحمل مدلولا دينيا مقدسا و مطمئنا لفكر الإنسان المرتبك.

و إذا كان الدين الرسمي يحدد شروطا واضحة لأداء الممارسات و الطقوس الدينية و يضبطها ضبطا دقيقا. فإن الممارسة الشعبية قد أخلت بهذه الشروط. ففي حين يشدد الدين على أن الأضحية لا تقدم إلا لله سبحانه و تعالى و إلا اعتبرت شركا و وثنية، تعتبرها الممارسة الشعبية طقسا دينيا حينما تقدمها لغير الله (للمرابطين) في حين أنها من طقوس التي يعدها الدين انحرافا عن تعاليمه و مستوحاة من المذهب الإحيائي المعادي للدين التوحيدي. و في هذا الإطار تعد الشعوذة و السحر و عبادة الأولياء من الطقوس البدعية. و تعتبر الاحتفالات التي تتم بالقرب من الأضرحة و الأولياء و تقدم خلالها القرابين من الطقوس التي يحرمها الدين الرسمي. و هي حالات من الشرك و الوثنية تتم إدانتها من قبل العلماء و الفقهاء، غير أنها تقترب من الطقوس الدينية في نظر الممارسة الشعبية من حيث ما توفره من استقرار نفسي لدى الأفراد و ما تستجيب له من مطالب لدى أفراد الجماعات التي تقوم بها. و في هذا المجال يمكن

الإشارة إلى طقس الوعدة الذي يقام إكراما لولي أو طلبا للاستسقاء و الذي جعله التدين الشعبي مرادفا للصلاة الشرعية للاستسقاء. و في كثير من الأحيان يفوقها لما يمثله من أهمية في المعتقدات الشعبية.

إن هذا الطقس ليس وليد حقبة تاريخية قريبة بل يضرب بأعماقه في جذور التاريخ قبل ظهور الديانات التوحيدية، و قد برز من جديد و بشكل مغاير مع الظروف التي وفرتها الطرق الصوفية و عبادة الأولياء، على الرغم من أن الدين الإسلامي كان أقوى الأديان الذي حارب هذه الظاهرة و اعتبرها شركا يجب القضاء عليه، و مع ذلك فقد استمرت مدعمة من قبل الممارسة الشعبية و المعتقدات و لا زالت تقام كل عام جالبة آلاف الوافدين و في كل مناطق البلاد.

الوعدة و التدين الشعبي:

تشتق كلمة وعدة من فعل وعد، أي تعهد بشيء ما، أخذ على عاتقه تطبيق شيء ما. و هي بمعنى النذر، أي أن ينذر الرجل على نفسه يوما أو ذبح شاة إذا تحقق له شيء ما، أو أن يأخذ المؤمن على عاتقه أمام الخالق تنفيذ وعده إذا تحققت إحدى أمنياته. فقد يتعهد بإطعام عدد من المحتاجين إذا وضعت زوجته ولدا، فإذا تم له ما أراد يكون لازما عليه احترام تعهده تحت عاقبة الكفارة[2].

و النذر، مصدر نذر الشيء ينذره، و معناه إيجاب الشيء على النفس مطلقا و قيل بشرط، و كذا أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث شيء ما، و نذر على نفسه، و نذر ماله و نذر لله سبحانه و تعالى كذا، أو النذر ما كان وعدا على شرط. فعلي أن شفى الله مريضي كذا نذرا.

و النذر في اصطلاح الفقهاء التزام مكلف قربة، و قيل ما يوجبه المسلم على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوهما[3] و قد قال الرسول صلى الله عليه و سلم: "من نذر أن يطيع الله فليطعه و من نذر أن يعصيه فلا يعصيه"[4] و على هذا فإن النذر إذا كان معصية من المعاصي أو عملا من أعمال المشركين التي تنافي الإسلام، فإنه يعتبر حراما و لا يحل الوفاء به.

إن النذر المشروع لا يكون إلا لله سبحانه و تعالى، وأن المقبول منه ما لم يكن معلقا على حصول غرض دنيوي، فإذا كان النذر لمخلوق من ولي أو شيخ صالح فهو شرك بالله في هذه العبادة، يحرم الإقدام عليه و الوفاء به لقول النبي صلى الله عليه و سلم: "لا نذر إلا فيما ابتغى به وجه الله"[5].

وفي هذا الشأن يقول الصنعاني في "سبل السلام" : "وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور و المشاهد، و الأموات فلا كلام في تحريمها، لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع و يضر، و يجلب الخير و يدفع الشر، و يعافي الأليم ويشفي السقيم. و هذا هو الذي كان يفعله عباد الأصنام بعينه، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن. و يجب النهي عنه و إبانة أنه من أعظم المحرمات الذي كان يفعله عبدة الأصنام، لكن طال الأمد، حتى صار

المعروف منكرا و المنكر معروفا. و صارت تعقد اللواءات لقباض النذور على الأموات، و يجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، و ينحر في بابه النحائر من الأنعام. و هذا بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام"[6].

و المعنى الثاني للنذر، يسميه المحدثون نذر المجازاة و تسمية العامة "الوعدة". و قد غيرت الممارسة الشعبية من مفهوم النذر، بحيث أصبح الناس ينذرون النذر لمن يعتقدون فيه من الأموات و الأحياء و المزارات، الحيوانات و الأطعمة، و يعتقدون أن نذرهم يقربهم من رضى المنذور، فإن حصل غرضهم، ازدادوا تعلقا بمن نذروا له، و اشتدت خشيتهم منه[7] كما يرون بأن للأماكن التي تنجز فيه النذور خصوصيات قلما تتوفر في غيرها بحيث أن لهذه المواقع خاصية دفع البلاء و استجلاب النعمة و الاستشفاء من الأمراض. و قد يتقربون بالذبائح لبعض الأحجار إذا قيل لهم بأن عبدا صالحا قد استند إليها، و يقدمون لبعض الأضرحة الشموع و الزيت و النقود و يعلقون الخرق على بعض الأشجار. و تبعا لهذا فإنهم يتفاءلون ببعض القبور بقولهم أن القبر الفلاني يقبل النذور أي يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال أو غير ذلك من الأغراض. و هم يعتقدون أن الأولياء الصالحين أحياء في قبورهم يتصرفون في هذا العالم و يقضون حاجات قاصديهم، حتى ليجد المرء من يتسول إلى صاحب القبر من أجل قضاء حاجته. و قد يلجأون إلى شد الرحال إلى هذا المكان و تشييد البناءات و اتخاذ المزارات، و يرون أن روح الصالح هناك تستجيب للدعاء، إما لأنه دفن هنالك أو جلس به. و من هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران و التمسح بالحيطان و كل ما يضاف إلى ذلك المكان[8].

و يشتد الاعتقاد في الولي في أوقات الكوارث الطبيعية كالجفاف و غيره من أجل رفع البلاء و إغاثة الناس، لذلك تقدم القرابين، و هي تلك الذبائح من الأغنام أو الماعز التي تذبح قرب الضريح، و تولم الوليمة، فتقدم الأطعمة إلى الوافدين إلى الوعدة. فإذا حدث و نزل المطر إثرها، نسبوه إلى سر المذبوح له، و قوي اعتقادهم فيه و تعويلهم عليه، و إذا لم يتم لهم ذلك أصيبوا بنكسة و قالوا أن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه[9].

لا يتوافق الطقس البدعي المتمثل في الوعدة مع الحيثيات الدينية التي تقتضي أن يكون الذبح و تقديم الحيوان لوجه الله (كما هو الحال بالنسبة لطقس عيد الأضحى) بل أن الدين الرسمي يعتبر تقديم الذبائح للوسيط مهما تكن رتبته الدينية حراما و كفرا و شركا. و يعتبر لحم الضحية المذبوحة في حال وجوده محرما.

و هناك مؤشرات تتدخل لتجعل من الوعدة طقسا بدعيا[10] و منها:

1. تتجدد الاحتفالات على فترات منتظمة، و تتخذ مظاهر شعائر حقيقية تترأسها عائلات ميسورة، تكون المنظمة لهذه الطقوس. و تبدو في نظر الجميع حائزة على قدرة روحية تتعدى حدود العامة، و ملتمسي هذه الطقوس الذين يجتمعون من كل الطبقات الاجتماعية، يقدمون للعائلات المنظمة كامل الولاء و الطاعة و من هنا يظهر نوع من التراتبية و توزيع المهام داخل هذه الجماعات.

2. يشكل سير أحداث الوعدة تجديدا للوثنية القديمة، و رغم ذكر اسم الله بصورة صدفوية، فإن التوجه يكون لغير الله.

3. تتجدد الوعدة في فترات منتظمة دون أن يؤدي إليها أي طلب موضوعي. فالناس يعرفون تاريخها الثابت و من عادتهم أن يرجعوا إليه إيمانا أو تبعا لحاجة.

تجدر الإشارة إلى استبدال عبارة زردة بعبارة وعدة للدلالة على نفس الشيء. و الزردة في العرف العام، طعام يتخذ من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم و لها وقتان: أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث و الآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة. و الغرض منها التقرب من ذلك الصالح كي يغيثهم بالأمطار تسهيلا لحرث أو حفاظا للغلة[11] و غالبا ما تضاف الزردة أو الوعدة إلى صاحب المزار فيقول الناس مثلا وعدة سيدي عبد القادر كما تتم عند القبر أو المقام و نادرا ما يقبلون مكانا آخر.

تأخذ الوعدة بالنسبة للقبيلة قيمة دينية لأن الناس يتصورون أنها إكراما لولي. كما أنها تؤكد إقامة حج طقسي مرة أو مرتين كل عام لولي و خلاله تقوم العائلات بزيارة الضريح و التبرك به، و يضمن الانتقال الوراثي لإحدى العائلات الحيازة على البركة التي تمكنها من السيطرة على المريدين و الأتباع. و في هذه الحال و عند القيام بالوليمة فإن تكاليف الاحتفالات تقع على عاتق الجميع.

و هذه الظاهرة لا تنفصل عن أي سلوك ديني حيث نجد أن هناك نوعا من التوافق بين الطقوس الدينية والبدعية في التقاليد و العادات الشعبية و هي لا تنتهك المعتقد الديني حسب مريديها و ترى أي شيء طبيعي أكثر من عبادة هذا الولي الذي جعله تدينه وسيطهم مع الله في التمثلات الشعبية.

و غالبا ما يرتكز هذا التجانس في الأرياف على الطلاب لأنهم مسؤولون عن قيادة التدين الشعبي و لأن مفهوم القداسة في نظرهم مرتبط بالتدين و المعرفة الدينية مما جعلهم يتغاضون عن الانحرافات الدينية لأنها تخدم مصالحهم. إن عبادة الأولياء و إقامة الولائم على الأضرحة التي يمنعها الدين الرسمي هي أساسا من اختلاف المرابطين أي تلك الهيئة الدينية المكلفة بالإشراف على الدين في الأرياف. إذ تقترح دينا يكلم القلب و الخيال، و تمارس نفوذا كبيرا على حياة الريفيين بواسطة قوتها المادية و المعنوية[12] و تشجيع هذا التوافق شرط أساسي لاستمرار مركزهم و مصالحهم. و هذا لا يمنع الدين الرسمي من اعتبارهم منحرفين.

إن طقس الوعدة الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بتقديس الأولياء و تقديم القرابين لهم من أجل قضاء حاجات مختلفة لأن الناس يعتقدون أنهم وسطاء بينهم و بين الله. و أن الله يقبل دعاءهم لم يبرز مع عبادة الأولياء و إنما يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، إذ عرفه قدماء الجزائر في القرابين التي كانوا يقدمونها للآلهة سواء من اجل الحماية أو طلبا لتأمين الغذاء عن طريق توفير المياه لفائدة الزراعة. و قد ظهرت هذه الوثنية من جديد مع ظهور الأولياء في الجزائر، ولمعرفة ذلك فسنتطرق إلى دراسة و تتبع نشوء هذا الطقس عبر المراحل التاريخية المختلفة التي عاشها المجتمع الجزائري.

استمرارية المعتقد الوثني:

إن دراسة التراث الشعبي الجزائري و لا سيما ما يتعلق بالمعتقدات و الطقوس التي تصاحب الاحتفالات، تعكس مدى تمسك الناس ببقايا معتقدات وطقوس وثنية يمارسونها و كأنها طقوس ذات علاقة بالدين، إذ لا يتم التفريق بين الطقس الديني و الطقس الدعي. و هذا ما سهل تعايش الطقسين في الذاكرة الشعبية فإحساس المجتمع بضرورة الدفاع عن كيانه أمام مختلف العوامل التغييرية يجعل أفراده يلجأون إلى الاحتماء بالتقاليد و التراث، و ربما عمد في بحثه عن وسائل المقاومة إلى إعادة انبعاث التقاليد كما يظن أنها في عالم النسيان. و التقاليد و العادات الشعبية تكتسي قوة عظيمة للبقاء و الاستمرار على الرغم من القرون التي مرت بها حيث أن العديد من الطقوس و المعتقدات لا زال يعايش التقاليد الحديثة. و من هذه الطقوس طقس الوعدة الذي يرجعه البعض إلى عبادة الأولياء إذ ظهر حسبهم بظهور هذه الأخيرة غير أن الدراسة المتأنية تبين أن هذا الطقس له جذور تاريخية عميقة في حياة المجتمع فقد صاحب مختلف الأجيال منذ وجود فكرة العبادة لدى الإنسان الجزائري القديم.

و لقد شكل طقس الضحية التي تقدم قربانا للآلهة طقسا ملازما لاحتفالات و مظاهر التقرب إلى الآلهة سواء بطلب حمايتها أو لاتقاء شرها. و أصبح الإنسان تبعا لذلك يحس بالطمأنينة و الهدوء حينما يفي بطلبات إلهه. و في هذا المجال يقول باستيد: "إن الضحية التي تقدم قربانا تستخدم كموضوع تبادل بين المتضرع (الذي يلتمس) و المتضرع إليه (الألوهية التي تتقبل الدعاء) و يشكل هذا التبادل تداخلا للقوى بين الإنسان و الألوهية التي يناشدها. و يمكن إسهام التضحية في تحرير طاقة ضرورية للقوى الملتمسة ضمن مهمتها المتعلقة بتوكيد حياة المؤمنين بها، لأن دم الضحية القربانية هو شراب الآلهة المفضل، إنه الغذاء الذي يؤدي إلى تجدد قوى المقدس المنهكة الموضوعة في خدمة البشر و الوسيلة التي تنعكس هذه القوى عليهم من جديد كي تشتد قدرتهم على الحياة و البقاء[13].

و ليست وظيفة الضحية واضحة بهذا الشكل إلا في الأديان القديمة. فقد عرف قدماء الجزائر عبادة الشمس و القمر، و عبادة بعض الحيوانات كالثور و الكبش و التيس. و كانوا يعظمون العيون و الأشجار و الجبال و الأموات، و يشيدون لهم قبورا ضخمة. و قد بقيت ترسبات هذه المعتقدات في المجتمع الجزائري: فمن آثار عبادتهم للشمس أن الولد حينما تسقط سنه يرمي بها إلى الشمس و يقول لها: "أعطيتك سن فضة أعطني سن ذهب". و يعظمون بعض العيون و يتبركون بمياهها و يستشفون بالشـــرب منها و يرجون منها النسل و يقربون لها القرابين، و يجتنبون قطع بعض الأشجار و يعلقون بها خيوط رجاء أن تقضي حاجتهم (أشجار البطم)[14]. و من تعظيمهم للجبال تقديم النذر من الأطعمة و الأنعام لبعض الكهوف و زيارتها و تطييب رائحتها بالبخور، فقد يرجعون ذلك إلى أن أحد الصالحين قد مر بهذا الكهف أو جلس عنده.

و على الرغم من محافظة البربر على معتقـــداتهم الأولى إلا أنهم تأثروا بعبادة المحتلين و امتزجت بعبادتهم، و من ذلك عبادة الفينيقيين الوثنية الذين كانوا يعبدون الشمس و القمر. و الشمس عندهم إله السماء و الأرض

يتوسلون لإرضائه بتقريب القرابين له. و قد تكون تلك القرابين أناسي و أكثر ما تكون من أبناء الملوك، و كانت لهم أعياد يحتفلون بها بآلهتهم و يقربون لها القرابين من البشر و البقر و الغنم[15].

أما الرومان فكانوا يعبدون القوى الطبيعية و النار المقدسة و الموتى من أسلافهم. و عبادة الموتى هي العبادة الخاصة بالأسر، و يعتبرونهم آلهة خير ما نشطوا لعبادتهم، و قربوا لهم القرابين، و إن هم قصروا في ذلك انقلبوا آلهة شر[16].

عبادة الأسلاف:

في روما، كانت ديانة العائلة ترتبط بالموقد العائلي و هو رمز تعبيري لشعور الإنسان العفوي بأنه امتداد لأسلافه و سابقيه. و لاحترام هذه الامتداد، كانت توقد نار دائمة في موقد داخل منزل الأسرة وفق عقيدة تنص بأن استمرار نسل العائلة إنما يأتي بالحفاظ على جذوة تلك النار التي تخص الأسلاف الذين لهم رتبة القداسة لدى أحفادهم. لقد كان رب الأسرة هو كاهنها و حاكمها و من واجبه دون غيره أن يوالي تقديم الذبائح لروح والده الذي يكون قبره مع أسلافه وسط المسكن، و أقسى عقاب للميت كان عدم دفنه لكون ذلك لا يتيح لأبنائه أن يقدموا له الذبائح باستمرار فتبقى روحه بلا قبر يضعها، و تعذب الأحياء.

حين اتسع المجتمع، تشكلت الفصائل، و هي عبارة عن مجموعة من العائلات تتعبد لإله واحد تقدم له الأضحيات بحضور الجميع و اشتراكهم و تقام ولائم عامة يحضرها أفراد الفصيلة. و كانت مستهلكات هذه الولائم العامة تجمع من غلال الأرض بدفع كل رب أسرة جزءا منها للفصيلة. و عند تأسيس المدن الكبرى، كان يوجد لكل مدينة مذبح مشترك و كان بقاء هناء المدينة يتم ببقاء المراسيم على حقيقتها في المعابد. بحيث أن أي خطأ يحدث يعرض الجميع لنقمة الإله الأعظم راعي المدينة و للاحتياط من هذه النقمة، كان يقام في روما عيد كل أربع سنوات تقدم فيه الأضحيات للتكفير عن الأخطاء، التي يمكن أن تكون ارتكبت أثناء القيام بتأدية الطقوس الدينية[17].

الوثنية عند العرب:

لقد كان العرب منذ القدم يقدسون الكعبة و يجلونها و ينصبون حولها أصنامهم. و كان الذي أدى بهم إلى عبادة الأوثان التي كانت في الأقوام قبلهم، أن لا يظعن في مكة ظاعن إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم و صبابة بمكة، فحيثما حل وضعه و طاف به، كطوافه بالكعبة تيمنا به و صبابة بالحرم، ثم سلخ بهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا... فعبدوا الأوثان. و صاروا إلى ما كانت الأمم من قبلهم[18] و قد عبدت قريش الأصنام (هبل، اللات و العزى) و قد اقترن بعبادتهم تقديم القرابين حيث كانوا يقدمونها لآلهتهم، و كانوا يبالغون في تعظيم أصنامهم و البناء عليها و الطواف حولها و التمسح بها، و اتخاذ ما يذكر بها في منازلهم فلا يسافر مسافرهم حتى يكون آخر ما يصنع في منزله التمسح بصنمه. و لا يقدم قادمهم حتى يكون أو ما يصنع إذا دخل بيته التمسح به

أيضا، و من صور عبادتهم لها زيارتها و النذر لها و جعل نصيب لها في حروثهم و أنعامهم و الذبح عندها ثم قسمة ما ذبح على الحاضرين و استشارتها فيما ينوون إحداثه.

أما النصب فهي حجارة كانت حول الكعبة و كان العرب في جاهليتهم يذبحون عندها. و ينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، و يشرحون اللحم و يجعلونه على النصب[19] كما كانت قريش تأتي إلى ذات أنواط و هي شجرة عظيمة خضراء كل سنة فيعقلون بها أسلحتهم و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوما.

تبدو ديانة البربر محملة ببقايا وثنية عديدة مؤلفة من طقوس سحرية دينية ورثوها عن أجدادهم البعيدين كطقس موكب العروسة الذي يتضمن سير العروسة و العريس على هيئة تمثالين لزيادة تمثيل الزفاف في محاولة لحمل الأرض على الاقتران بالمطر و إحداث الزواج الضروري بينهما. و كطقس اليد الممدودة لطرد الأرواح الشريرة و عين الحسود و العفاريت الخبيثة تطردها عن الأشخاص و الأموال[20].

و مع تأثر البربر بديانات الأمم المختلفة، فقد حافظوا على عقائدهم الأولى و لم يرفضوا منها إلا قليلا. ولا يعرف التاريخ دينا غير العقائد،و ابتعد عن الوثنية، و اعتمد على العقل مثل الدين الإسلامي، و مع ذلك لم يطهر البربر من كل ما كانوا عليه[21] و هذا صحيح إلى درجة أن التوحيد الإسلامي من بعد المسيحية لم يستطع بعد قرون عديدة من السيادة و السيطرة أن يغير تغييرا شديدا في تصورات البربر الدينية. و قد تدعمت هذه الوثنية و برزت من جديد من عالم النسيان و انبعثت من الأنقاض لتروض الإنسان و تسيطر عليه من خلال حاجته إلى الحماية و لا أدل على ذلك من وجود ضالتها في ظهور عبادة الأولياء التي عرفتها مختلف أقطار المغرب الإسلامي منذ القرن الخامس عشر الميلادي.

عبادة الأولياء:

لقد ازدهرت الطرق ازدهارا عظيما منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، حيث ظهرت الطريقة الكبيرة التي تنتسب إلى أبي عبد الله محمد الجازولي (869 هـ / 1465 م) و قد تشكلت طرق كثيرة على منوال هذه الطريقة و منها كثير من فروع الشاذلية و لعبت دورا أساسيا في الحياة الدينية للمغرب. و اتخذت عبادة الأولياء أهمية كبيرة في بلاد المغرب الإسلامي. و لم ينج من تأثير الأولياء أي جزء من المغرب أو طبقة من طبقات المجتمع أو الشعب و الذين يسمون في اللهجة العامية (مرابطون).

و قد انتشرت انتشارا عظيما لتشكل إيديولوجية شعبية بواسطة رسمها للمعالم الأساسية للإسلام الغربي[22]. لقد استطاع الفكر الطرقي التغلغل في أوساط الجماهير الشعبية و تشبع بأفكارهم و معتقداتهم و مثلهم، و أصبح شعبيا و حصل على كثير من الأساطير و الممارسات التي اكتسحت الفكر العربي الإسلامي. و قد ساعدت هذه الوضعية على الاعتقاد في الأولياء و في كراماتهم فازدادت سلطتهم الروحية و اتسع نفذهم و كثر عددهم[23] و يتفق جميع الباحثين الذين اهتموا بموضوع عبادة الأولياء – بالأخص أ. دمنغهام، ج. بيرك، بوسكيه – على أنها بقايا وثنية برزت

من جديد عن طريق المرابطين[24] الذين تعتبرهم العامة واسطة بينهم و بين الله و بأنهم يتصرفون في الكون و يعلمون الغيب. و قد أدى الإقبال عليهم إلى رفع مكانتهم و توسيع نفوذهم مما جعلهم يدعون الولاية التي تحولت إليهم إلى وراثة، يرث الابن أباه. و من هنا كانت الفكرة القائلة: بأن البركة الإلهية تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبح جميعهم شيوخا يلتمس منهم الناس البركة كما تتسابق القبائل ليكون لكل منها وليها، يعزز شوكتها و يدعم مركزها و يصبغ عليها بركته مما ساهم في انتشار الأولياء[25].

و قد اختار كثير من الأولياء الريف مقر لهم و مجالا لنشاطهم لحاجة السكان للتعليم و التوجيه، يضاف إلى ذلك تفشي الأمية و انحطاط الثقافة. فالإنسان البسيط يجد حاجته للاقتراب من الله عن طريق الوسطاء كما يعتقده، و ذلك لكونه يجهل كل شيء عن الدين الحقيقي و يطلب من الولي أن يلبي حاجته لأنه يتمتع بالبركة و يستطيع علاج الأمراض و التنبؤ بالمستقبل أو منح الخصوبة للمرأة العاقر. و بهذا أصبح الاعتقاد في البركة أساس تنظيم الطرق الدينية و الزوايا و التي تظهر ولاءها لسلطة الولي[26].

و قد دعت الصوفية إلى تقديس الأولياء و نسبت لهم كرامات خارقا للعادة، فأصبح الناس يتوجهون إليهم في ابتهالاتهم و تضرعاتهم، حتى ليعتقد المرء حقا بأن عبادة الآلهة القديمة عادت في نفس الأمكنة و بنفس العادات، البخور و النذور و الولائم التي حلت محل القرابين مع اختلاف الظروف[27].

و في المعتقدات العامة، فإن الولي حينما يموت تظل روحه تتنقل بكل حرية في كل مكان، و لقضاء حاجة، فعلى الطالب أن يستنجد باسمه ليتم له ما أراد، و هذا الفعل كثيرا ما يلجأ إليه الناس أثناء وقوع المصائب و الكوارث فيستنجدون بالولي الصالح سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني: "يا مولاي عبد القادر يا سلاك الواحلين" و قد أضحت هذه العادات راسخة في نفوس الأجيال، تتوارث جيلا عن جيل و شكلت جزءا من التراث الشعبي يشترك فيه عامة الناس يطبع سلوكهم و أفعالهم و حياتهم اليومية، و يؤثر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل، لأنه يجسد ماضيهم و ماضي أجدادهم. و ظاهرة الوعدة أو الزردة من هذه العادات التي ارتبطت بالزوايا كمظهر من مظاهرها. و هي في الواقع ظاهرة عامة عرفها المجتمع على الرغم من اختلاف تسميته بين مختلف المناطق. و قد صاحبت الزوايا حيث كان أفراد القبيلة يقدمون عمل يوم كسخرة سواء في فصل الصيف لحصاد زرع الزاوية أو في فصل الخريف لحرث و زرع البذور، يفدون على الزاوية في هاتين الفترتين للمساهمة في خدمة الزاوية و كلهم أمل في أن هذا العمل إنما يقومون به إرضاء للشيخ، و غالبا ما يصاحب هذه الأشغال أو في نهايتها إقامة احتفال بذبح الذبائح و إطعام المشاركين في العمل قصد الحصول على البركة. و قد تقام الاحتفالات من أجل الاستسقاء و تكون غالبا بالقرب من الأضرحة. و قد أفادنا أحد كبار السن (الشيخ معداوي من بلدية صبرة) الذي حضر هذه الأعمال أن أكثر من 75 رجلا كان يشارك في حصاد غلة الزاوية و بالتحديد زاوية سيدي بن لأعمر بنواحي ندرومة. و قد كانوا يقصدونها راكبين و راجلين (في شكل ركب برأسهم مقدم الزاوية) و كلهم أمل في إرضاء شيخ الزاوية

مظهرين فضل المساهمة و المشاركة في خدمة الزاوية (عن طريق التويزة) و عاقبة من يترفع عن خدمتها أو يرفض تقديم خدماته للشيخ.

وقد انتشرت هذه الظاهرة إلى القرى و المدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة و استمروا في إقامتها اعتقادا منهم أن عدم إقامتها يؤدي إلى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة في فصل الصيف. وبهذا نرى بأن الجانب الاقتصادي يلعب دورا أساسيا في استمرار و ديمومة هذه الظاهرة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي للناس الذي يرتكز بدوره على الفلاحة كمورد أساسي للفئات العريضة من السكان، ويخصص الفلاحون جزءا من مدخولهم أو ريع أرضهم للمساهمة في إقامة الوعدة. و غالبا ما تقام بعد انتهاء فصل الصيف ليتسنى للجميع المشاركة فيها.

و من هنا فبالإضافة إلى الجانب الديني أو المعتقدات الشعبية التي تتحكم في هذه الاحتفالات فهناك الجانب الاقتصادي المتمثل في الزراعة و الاستسقاء لها أو طلب البركة.

وقد أدرك الاستعمار أهمية إقامة الوعدات، فأوكل إلى القياد و شيوخ القبائل و رؤساء المداشر و مقدمي الطرق بتنظيم الولائم على شرف شيوخ الزوايا و شجع إقامة الوعدات على الأضرحة و القباب. و تشكلت بفعل هذه السياسة ممارسات ركزت على احتفال كل قبيلة بصاحب ضريح خاص بها، تحتفل به سنويا و لا تحيد عنه حتى أصبح يستعاض عن ذكر القبيلة بذكر الولي الذي تو لم له الوليمة.و بهذا ازداد التفاخر بين القبائل، و أدى في كثير من الأحيان إلى الإسراف في الإنفاق قصد إبراز قوة و نفوذ القبيلة أمام القبائل الأخرى. و في هذا الصدد يقول فونيالو: "يسود في هذا النوع من الاحتفالات، التفاخر و الغيرة و الحسد، فكل قبيلة تعمل كل ما في وسعها من أجل تجاوز جارتها، و هي بهذا المعنى تجسد الصراع الأصم للأنانية العائلية"[28]. و قد تفطنت الإدارة الاستعمارية إلى الدور الكبير الذي تلعبه هذه الاحتفالات في حياة المجتمع الجزائري. فعمدت تكبيل شيوخ الطرق بمختلف الوسائل العسكرية والقانونية. و أصبحت بذلك تسمح بإقامتها لبعض الزوايا الحليفة بسياستها و تمنع على الأفراد كل مورد من شأنه أن يمكنها من ممارسة نشاطها بحجة مناهضيها لسياستها الاستعمارية و في هذا الصدد يقول شارل روبر أجرون: "لقد كانت الإدارة الفرنسية تتدخل في كل تظاهرة خارجية للعبادة، فقد كانت الرخص ضرورية لكل احتفال ذي طابع ديني كالزيارة خصيصا تحت طابع جمع الأموال المطلوبة من قبل الأولياء و الطرق"[29].

علاقة القبيلة بالولي:

يوجد نوع من التحالف أو العقد بين القبيلة و الولي، بموجبه يتكلف بمصالح الجماعة، و يحافظ على ازدهارها و سعادتها و بالمقابل فإن على أفراد القبيلة احترام سيادته الروحية و تجديد الوفاء له كل سنة بتقديم الزيارات و الأضحيات التي تؤكل لحومها في وجبة جماعية.

إن التحالف بين الولي و خدامه يتجسد من خلال الاحتفالات التقليدية التي تقع خلال الاحتفال بالولي أو حينما تصاب القبيلة بكارثة عامة و تصبح كلمة "وعدة" أو الوفاء بالنذر ذات معنى. و في هذا اليوم يقوم أفراد القبيلة بواجباتهم الجماعية حيال الولي، فيستغلون من الخطايا و يشكرونه على منه السابقة و يطلبون حمايته في المستقبل و يجددون بالمناسبة تحالفهم الأخلاقي معه[30].

من واجبات يوم الاحتفال بالولي، اجتماع عام لممثلي العائلات الذي يحضره الأطفال و النساء في مكان قريب من زاوية الولي، تقدم وجبة مشتركة يحضرها الزوار الأجانب كذلك. يشكل ارتداء الملابس الجديدة و النظيفة و القيام بالألعاب المختلفة (لعبة البارود و الرقص...) طقوسا أو مظاهر للفرح تصاحب هذه الاحتفالات، و تنظم بعد ذلك زيارة خاصة إلى الزاوية أو الضريح يحضرها وفود مختلف الجماعات الذين يتمنون قضاء بعض الحاجات. إن الذبائح و كل الأغذية المستهلكة بمناسبة الوجبة المشتركة تقدم من طرف العائلات التي تقطن الإقليم الذي يشكل مجال الولي. و تعتبر هذه العائلات نفسها كخدامه و غالبا كمنحدرين من نسبه.

و بعد الانتهاء من أكل لحوم الذبائح يتحلق الناس حول المقام ليطلبوا من الولي الاستمرار في تقديمه لمساهماته الضرورية و مساعداته للرجال و الخدام[31].

إ، الحج الجماعي و الوجبة المشتركة تقعان حينما تكون جماهير الأتباع مهددة بكارثة (كالجفاف مثلا) و التي يستطيع الولي بفضل صلاحه و قوته أن يبعدها عن طريق التوجه بالدعاء إلى الله.

يتكون الحج من:

1. الاجتماع في اليوم المحدد بالقرب من مقام الولي لمندوبي العائلات الذين ينتمون إلى إقليمه و نفوذه و ممثلي القبائل القريبة.

2. الزيارة إلى الزاوية أو المقام من طرف قسم من الوافدين سواء بعد وصولهم أو مغادرتهم المكان ليعبروا للشيخ عما يريدونه منه، و لتقديم الزيارات من طرف أحد أو الممثلين الأكفاء للأتباع و غالبا مقدمي الطرق و باسم الجميع.

3. حفلات متنوعة، سباق الخيل، رقصات خاصة عادية أو دينية غناء و ألعاب.

تشكل هذه الوجبة المشتركة قسما من طقوس هذا النوع من الحج، يقدم الغذاء كليا من طرف العائلات الرئيسية للخدام و إلى الغرباء الذين يأتون إلى الوعدة[32] و يبدو أن استمرار هذا الطقس و المحافظة عليه يأتي من الإرادة الجماعية لإعادة تشكيل على الأقل في الخيال الفرق أو القبائل حول ولي رمز تنتمي إليه القبيلة أو العشيرة. فقد عرفت عبادة الأولياء و تقديم القرابين لها في إطار هذه الاحتفالات نشاطا جديدا حيث عملت الوعدات على إحياء قرابة جماعية وهمية عن طريق تقديم الولاء للمرابط. و قد استقطبت التجمعات السنوية و الولاء إلى الجد الحقيقي أو الوهمي آلاف الأشخاص الذين يأتون من مناطق مختلفة. فكل مشارك يستقبل هذه التجمعات كفرصة وحيدة للالتقاء بأحبائه و يسلي نفسه بفكرة انتمائه إلى نسب كان قديما قويا و كثير العدد و الذي يتناقض مع وضعيته الحالية كفلاح سجين لتقلبات فلاحة الاكتفاء الذاتي. أن تضاعف الأولياء و إقامة الاحتفالات تشهد على الرغبة الجماعية لإعادة البعث للهياكل الاجتماعية القديمة في الضمائر (الوعي)[33].

إن المعايير الاجتماعية القديمة قد سمحت قديما بإيجاد توازن اجتماعي، فعدد كبير من الفلاحين يعتقدون أن كل العراقيل تأتي من كون عدم احترام هذه المعايير، فكل مجتمع يعيش في وهم و في مثالية الماضي التي يعتقدون أنها لا زالت قائمة.

يظهر من خلال هذا الطرح، أن للوعدة دور كبير في حياة المجتمع و لا سيما الريفي حيث تتمثل وظائفها في تدعيم التماسك الاجتماعي لأفراد القبيلة و الحفاظ على التقاليد و العادات الشعبية و يتعدى دورها المحافظة على الأمور الدينية إلى الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و هذا ما سنستشفه من خلال دراسة مكانة و وظيفة الوعدة في المجتمع.

مكانة و وظيفة الوعدة في المجتمع:

لقد ورث المجتمع الجزائري هذا الطقس من القدماء الذين سكنوا البلاد. فقد كان البربر في فجر التاريخ مستقرين و رحلا، يعيشون على الزراعة و تربية الحيوان. و كانت بلادهم ذات مناخ قاس مفرط يتميز بفصل طويل حار جاف في الصيف، مما أولى أهمية بالغة للينابيع الدائمة الجريان و للأرواح التي تولدها أو تسكنها، و المطر الذي يجعل المراعي تخضر و يضمن محصول الحبوب. و قد ولد هذا طقوسا سحرية و دينية بدون أدائها لا يمكن للمياه الثمينة أن تتفجر و تحدث[34]. و ينسحب الأمر هنا كذلك على إقامة الوعدة عند ضريح أحد الأولياء و تقديم القرابين و الدعاء من أجل الاستسقاء الذي يعتقد التابعون و الخدام أنه بدونه لا يمكن أن يترل الغيث و يتم المحصول.

لقد أشار مالينويسكي إلى أن تنفيذ الطقس يغير وضع المؤمن و بممارسة طقوس الاستسقاء التي يفترض فيها أن تجلب المطر، فإن المؤمنين لا يسببون هطوله، و لكنهم بتجمعهم لإتمام الاحتفال المفروض يعبئون الطاقات التي تسمح لهم بتحمل أفضل لتجربة الجفاف و الفقر الذي يرافقه[35].

تحوي الوعدة كما ذكرنا عدة وظائف يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

وظائف الوعدة:

أ. الوظيفة الاقتصادية:

يحتل الجانب الاقتصادي دورا أساسيا في احتفالات الوعدة حيث أنه بالتوازي مع إقامة الاحتفالات، تقام عدة نشاطات اقتصادية تستقطب اهتمام الوافدين عليها و تشكل بذلك سوقا مفتوحة لمختلف المنتوجات الريفية إضافة إلى المنتوجات المصنعة التي يعرضها تجار محترفون يقوم باقتنائها الفلاحون و أفراد القبائل و بذلك تؤدي الوعدة وظيفة اقتصادية هامة للمجتمع الريفي.

ب. التكافل الاجتماعي:

تحاول القبائل تجسيد هذه الوظيفة من خلال إبراز الكرم و حسن الضيافة تجاه الوافدين عليها و تقديم الأطعمة و الصدقات لليتامى و العطف على المساكين و تقديم يد العون للمحتاجين و الغرباء و غيرهم. و يسعى أشراف القبيلة إلى إصلاح ذات البين بين المتخاصمين و فك الخلافات في النزعات العقارية و توزيع مياه الري و الفصل في قضايا الطلاق و الحضانة و توزيع المواريث و الزواج.

و قد تكون فرصة للتفكير في تنظيم حملات التويزة لمساعدة بعض المساكين على بناء مساكنهم أو حفر قنوات الري أو غيرها من الأشغال التي تعود بالفائدة على القبيلة ككل.

و نظرا للأهمية التي يوليها الناس إلى هذه الوظيفة، فإنها تكاد تغطي كل الممارسات في هذه الاحتفالات إن لم نقل كلها و التي تعد في نظر العامة من الحتميات الملازمة تلازما وظيفيا لا يكاد ينفصم عنها.

ج. الوظيفة الثقافية:

تمثل الوعدة ظاهرة ثقافية في حد ذاتها، فهي تحوي العديد من العادات و التقاليد و الفنون التي طبعت سلوك الأفراد منذ زمن بعيد. و هي تعيد إنتاج هذه العادات بما توفره من إطار للمحافظة و الصيانة لما تركته الأجيال السابقة.

و يدرك من يفد على الوعدة ذلك التواصل و الحوار المستمد بين الماضي و الحاضر من خلا التراث الشعبي و من خلال ما أدخل عليه من تجديد، غير أن ذلك لم ينزع عليها الطابع التقليدي لمختلف الممارسات التي تقام بها. وبذلك يمكن الربط بين الماضي و الحاضر ليظل الماضي قائما في قلب الحاضر يمنع كل إمكانية الانسلاخ عن هذه التقاليد العريقة. و يمكن استشفاف هذه الوظيفة من خلال الألعاب و الفنون الملازمة لها كألعاب الفروسية و الألعاب الفلكلورية المختلفة و المداح و قصصه الشعبية و غيرها من الفنون الشعبية التي تزخر بها الوعدة.

د. الوظيفة الدينية:

يمكن الاطلاع على هذه الوظيفة من خلال التقاليد التي حافظت عليها و التي تبدو أقرب إلى الدين الإسلامي، و منها مساعدة الفقراء و جمع الزكاة لبناء المساجد و الزوايا مع العمل على توفير الشروط الضرورية لتعليم صبيان القبيلة القرآن الكريم (ما يسمى عند العامة المشارطة) و مناقشة مشاكل المجتمع المصغر و الفصل في الأحوال الشخصية حسب الشريعة الإسلامية. و هي أمور تضطلع بها الجماعة أثناء انعقاد احتفالات الوعدة نظرا لما يتوفر من ظروف مساعدة: كوجود كبار القبيلة و شيخ الزاوية و غيرهم من أصحاب الجاه الذين يستطيعون حل المشاكل المستعصية. و تقام حلقات الذكر و الحضرات لمختلف الطرق المشاركة في الاحتفالات.

يخصص جزء من الأموال المجموعة لبناء الزوايا و المساجد و دفع نفقات الأئمة القائمين عليها و المكلفين بتعليم القرآن الكريم و تحديد شروط التدريس مع الإمام لتدريس الصبيان. و تتوج هذه الوظيفة بالهدف الأساسي الذي أقيمت من أجله الوعدة و هو الاستسقاء و زيادة البركة و الاحتفال بالولي الصالح. و هو ما يستشف من خلال إقامة الفاتحة حيث يقوم بالدعاء الشيخ أو المقدم أو إمام القبيلة داعيا الله عز وجل أن يجعل السنة أكثر خيرا و بركة طالبا منه نزول الغيث ببركة الولي الصالح.

من خلال ما سبق نخلص إلى القول أن طقس الوعدة يعتبر مظهرا من مظاهر الوثنية الذي برز من جديد مع عبادة الأولياء التي ينكرها الدين و يدعو إلى محاربتها باعتبار الأضحيات التي تقدم لا تقدم لله و إنما للولي الذي يصبح وسيطا في نظر المضحي و في هذا الصدد يقول باستيد: "يلتمس الناس مساعدة هؤلاء الأولياء و أنهم لا يقسمون إلا بهم، و لسوف يؤدي هذا الإيمان بمقدراتهم بسلطتهم إلى استخدامهم كوسطاء حيثما يتوجه الناس نحو الله، كما لو أن احتمالات استجابة الرغبة الملتمسة من الله، باسم الأولياء هي أكبر منها باسم الشخص الذي يلتمسها"(36).

لقد ظهرت الوعدة كسلاح ذي حدين:

فمن جهة و نتيجة لتفشي الأمية، ساعدت على زرع الفتور و الخنوع و انصياع الكثير لسياسة الاحتلال التي كانت تعتبر قضاء أو قدرا لا يمكن الخلاص منه إلا بالدعاء و دعمت التفكير القبلي الضيق و أعاقت تكوين وعي وطني لمقاومي الاستعمار و من جهة أخرى فقد أدت وظائف أساسية في مختلف مجالات الحياة و أهمها المحافظة على العادات و التقاليد العريقة التي تمسك بها السكان و ميزتهم عن ثقافة المحتل و مكنتهم من التيقن أنهم ينتسبون إلى ثقافة مغايرة و متميزة.

إن هذا الطقس البدعي قد ساهم مساهمة فعالة في توطيد أركان الدين الرسمي على الرغم من أن هذا الأخير يعتبره انحرافا على تعاليمه. فقد ساعد على جمع أموال الزكاة و صرفها في المجالات التي تخدم الدين كبناء الزوايا لتخريج العلماء و الفقهاء و تشييد المساجد و تعليم القرآن الكريم و اللغة للأطفال و تلاوة القرآن و غيرها من الأمور التي ساهمت بصفة مباشرة في تحصين الشخصية الوطنية و في المحافظة على الهوية الوطنية. و بذلك أدت دورا أساسيا في حماية و صيانة المقومات الإسلامية.

الهوامش :

1. أحمد بن نعمان، العلاقة الوظيفية بين الدين الإسلامي و اللغة العربية، مجلة الثقافة، العدد 45، يونيو – يوليوز 1978 ص 83.
2. نور الدين طوالبي، الدين و الطقوس و التغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 1988 ص 123.
3. محمد عبد القادر أبو فارس، الإيمان و النذور، دار الشهاب، باتنة، ص 132.
4. نفس المرجع ص 137.
5. مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك و مظاهره، دار البعث و الطباعة و للنشر، قسنطينة، 1982 الطبعة الثالثة، ص 250.
6. نفس المرجع ص 251.
7. نفس المرجع ص 250.
8. نفس المرجع ص 227.
9. نفس المرجع ص 240.
10. نور الدين طوالبي، المرجع السابق ص 124.
11. مباركك بن محمد الميلي، المرجع السابق ص 238.
12. Pierre Bourdieu, Sociologie de l'Algérie, Puf 1958 P 103
13. نور الدين طوالبي نفس المرجع ص 39.
14. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، الشركة الوطنية للنشر و لتوزيع 1976، ص 75.
15. نفس المرجع ص 197.
16. نفس المرجع ص 249.
17. يوسف الحوراني، الإنسان و الحضارة، مدخل و دراسة، منشورات المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، بيروت 1973 ص 49.
18. مبارك بن محمد الميلي، رسالة لشرك و مظاهرها، مرجع سابق ص 89.
19. نفس المرجع ص 234.
20. ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص 66.
21. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، مرجع سابق ص 123.
22- Dhina Atallah, Les états de l'occident musulman au XIII, XIV et XV siècle – ENAL – Alger – P 303
22. فيلالي مختار بن الطاهر، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن للطباعة و النشر، باتنة، الطبعة الأولى 1976، ص 24
23. نور الدين طوالبي، مرجع سبق، ص 141.
24. فيلالي مختار بن الطاهر، مرجع سبق، ص 24.

25-Pierre Bourdieu OPCIT P 102.

26-الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ص85.
27-Gognalons L, Fêtes principales d'Ouargla, Revue Africaine N°53, année 1909, OPU 1986.
28- Ageron Charles Robert, Les algériens muslmans et la France, Tome II, PUF 1968, p 268.
29- Alfred Bel, L'islam mystique, RA N° 69, année 1928, OPU, p 91.
30-IBID, p 92.
31- IBID, p 98
32-Lahouari Addi, De l'Algérie pré-coloniale à l'Algérie coloniale, "Economie et société", ENAL, Alger 1985, p 101.
33- ألفرد بل، مرجع سابق ص 56.
34- ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ترجمة الدكتور سليم حداد، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية 1986 ص 321.
35- نور الدين طوالبي، المرجع السابق ص 143